أهمية المصادر والمراجع في البحث العلمي الأكاديمي:

الطالبة: زهيـة طرشـي
والطالبة: زهراليوم هطال
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة محمد خيضر – بسكرة

تكمنُ أهميةُ البحثِ العلميِّ باعتباره العتبة الأولى التي يقف عندها الطالب الجامعي الذي يزاول دراسته فيها لأول مرة. ومن هنا تبدأ محاولاتُهُ الجادة لإثبات انتمائه الفعلي إلى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي؛ من خلال سعيه الدءوب للقبض على الحقيقة العلمية بنفسه، بعد أن تعوَّدَ على تلقيها جاهزةً في وزارة التربية والتعليم. وتظل هذه الثيمة الأساسية التي تقوم عليها الجامعة الجزائرية كغيرها من الجامعات مرافقة للطالب الجامعي، تَسيرُ معه جنبا إلى جنب طيلة مشواره الدراسيّ، بل وأكثر من ذلك تفرض نفسها عليه من خلال دفعه لإثبات جدارته بشهادة التخرُّجِ، حينما يُلزَمُ الطالبُ بمذكرةٍ يُنهِي بها مشواره الدراسيِّ، وتكون بمثابة المشعل الذي يسلمه للخلف.

ولكن هذا لا يعني انقطاع المسيرة العلمية؛ فكثيرا ما تُغرسُ بذرة الاطلاع والبحث وتنتشُّ في نفس الطالب ليصبحَ باحثا شغوفا، للخوض في شتىَّ مجالات الحياة التي من شأنها إزالة اللّبس عن كثير من الحقائق، التي غيبها التخاذل والتقاعس عن السعيِّ وراء الحقيقة العلمية.

ونظرا لكل هذا نفهم الأهميّة التي حظيَّ بها هذا الموضوع، فقد اختلفت الآراء ووجهات النّظر حول تحديد مفهومه، فالبعض يرى:« بأن البحث هو استقصاء منظم يهدف إلى اكتساب معارف جديدة وموثقة بعد الاختبار العلمي، بينما يرى آخرون بأنه التحري والاستقصاء المنظم الدقيق الهادف للكشف عن حقائق الأشياء وعلاقاتها ببعضها البعض».[1]

وما نلاحظه أنه وقع الاتفاق، على أن البحث يحمل بين طياته مفهومي الاستقصاء والتحري، التي تغرس في الطالب روح الاطلاع والاكتشاف؛ ومن خلال ذلك تحريك العقول الجامدة.

وتختلف تصنيفات البحوث باختلاف المواضيع التي تتناولها، ولكنها تتفق جميعا في مراحل البحث العلميِّ التي تبدأ باختيار الموضوع وتنتهي بالاستعداد لمناقشته. وتُعد المادة العلمية التي يتكئ عليها البحث العلمي أحد أهم المرتكزات التي يقوم عليها أيُّ بحثٍ، والتي يصطلح عليها بالمصادر والمراجع.« وتعتبر المعلومات المجمعة ركيزة الباحث الأساسية، كمقومات محورية للبحث وكلما جمع الباحث أكبر عدد من المعلومات... كلما أدى ذلك إلى تمكنه من تغطية بحثه بكل فروعه ونقاطه».[2]

وتكمن أهمية المصادر والمراجع في كون نجاح البحث العلمي رهينٌ بقوتها، وعليه وجب على الطالب أن يكون مدركا للمادة العلمية التي تتناسب مع موضوعه أولا ،ثم تصنيفها إلى مصادر ومراجع وهذا يتعلق بالتهميش والأمانة العلمية في توثيق المادة؛ وذلك من خلال إعطاء الحق لأصحابه. إضافة إلى أن قيمة المادة العلمية تتعلق بثلاث ركائز أساسية: الكمية والكيفية والنوعية.

– الكمية: وتختلف كمية المادة العلمية حسب حاجة الموضوع لذلك، يستطيع الطالب التحكم فيها من خلال وضع خطة أولية مع أستاذه المشرف تعينه على تحديد المادة العلمية التي يحتاجها فقط.

– النوعية: وتحدد نوعيّةُ المادة العلمية حسب الموضوع، ويُراعى فيها أسبقية وأقدمية الكتاب.

– الكيفيّة: وتتمثل في المنهجية المنظمة في الاستفادة من المصادر والمراجع والتي سنتطرق إليها لاحقا، وعلى الباحث أن يكون مدركا لكل هذا.

أولا– الفرق بين المصادر والمراجع:

ينبغي على الباحث أن يكون مدركا لنوعية المادة العلمية التي يقوم بجمعها، فعدا عن كونها ذات صلة بموضوع البحث فعليه معرفة فيما إذا كانت مصادر أو مراجع، والفرق بينهما يتمثل أساسا في:« أن المصادر هيّ أقدم ما تحوي مادةً عن موضوع ما، أو بعبارة أخرى هيّ

الوثائق والدراسات الأولى المنقولة بالرواية، أما المراجع فهي التي تعتمد في مادتها العلمية أساسا على المصادر الأصلية الأولى فتتعرض لها بالتحليل أو النقد أو التلخيص».[3]

ثانيا- طرق الاستفادة من المصادر والمراجع:

أو ما يعرف بالمادة العلمية« وتتم عبر مرحلتين أساسيتين: مرحلة القراءة، ومرحلة تدوين المعلومات، وكليهما تحتاجان إلى المنهجية السليمة».[4]

فعلى الطالب أن يختار ما يقرأ ويختار مما قرأ ما هو جدير للتدوين. ونحن هنا نتحدث عن الفترة التي تأتي بعد جمع المادة العلمية، التي لها علاقة بموضوع البحث، لتأتي فيما بعد مرحلة فرزها وتوظيفها بشكل يخدم البحث.

- مرحلة القراءة:

حتى يتسنى للباحث جمع المادة العلمية عليه أولا أن تكون لديه مهارة القراءة ونقصد *بها*: « أن يتعلم الباحث كيف يقرأ.. وأن يطلع على مجموعة كبيرة من الكتب، وأن لا يفوته مرجع ذو أهمية في موضوعه».[5]

والقراءة المنهجية تمر بثلاث مراحل:

1- القراءة الاستكشافية:« وهيّ القراءة الخاطفة التي تشتمل على الاطلاع على فهارس وعناوين المراجع والمصادر، ثم تقييمها من حيث درجات ارتباطها بالموضوع.»[6]

2- القراءة العادية:« وهي القراءة المبنية على أساس سليم وصحيح، حيث يقوم الطالب بتحديد قائمة الكتب التي سيعتمد عليها في قراءته هذه». [7]

3- القراءة العميقة والمركزة:« ترتكز على التحليل والتعليل والتدقيق وإبداء الرأي إن اقتضت الضرورة بذلك، ويدون الطالب بعد ذلك كل الملاحظات التي استخرجها عن طريق هذه القراءة.»[8] لتأتي بعد ذلك مرحلة أخرى تعرف بمرحلة التدوين.

- مرحلة التدوين:

وتعد هذه المرحلة أهم مراحل البحث العلمي، وترتبط ارتباطا وثيقا بمرحلة القراءة، وقد أدرج الباحثون طرقا كثيرة ومتنوعة في كيفية تدوين المادة العلمية التي تم اختيارها للتدوين بعد القراءة النهائية، ويفضل في ذلك« إعطاء الأولوية للمصادر الأصلية المباشرة، وتقديمها على غيرها من المراجع الثانوية وغير المباشرة والتي تعتمد على المصادر».[9]

وهناك طريقتين لتدوين المادة العلمية: الطريقة التقليدية والطريقة الحديثة.

1- الطريقة التقليدية: وتتكون من أسلوبين:

أ- طريقة البطاقات:« وهي بوضع بطاقة للكتاب أو المرجع الذي وجدت به المعلومات».[10]

ب- أسلوب الملفات:« ملف البحث هو عبارة عن غلاف سميك من الورق المقوى، أو البلاستيك. وميزة هذا الأسلوب أنه يمكن الباحث عند التحرير من الرجوع السريع إلى الاستشهادات والملاحظات، أو حتى إجراء التعديلات».[11]

2- الطريقة الحديثة:

أ-النسخ أو التصوير:« وهي أخذ المرجع أيا كان نوعه وعمل تصوير بآلة الطباعة للصفحات التي يحتاجها الباحث من المرجع».[12] مع تصوير الصفحة الأولى وذلك للعودة إليها أثناء تهميش المعلومة وهذا من باب الحفاظ على الأمانة العلمية.

ب- نظام المعلوماتية: ويتميّز هذا النوع من التدوين حسب اسمه باللجوء إلى الحاسوب الذي يتم تدوين المعلومات فيه:« وميزة هذا الأسلوب العلمي أنه يهتم بحفظ المعلومة بعد تخزينها دون أن تتأثر بالعوامل الطبيعية».[13] لكنه في نفس الوقت مهدد أحيانا بخطر الفيروسات التي تقتحم الحاسوب.

ثالثا: الصياغة والتدوين:

فبعد أن يقوم الباحث بجمع مادة بحثه وفق الخطة المؤقتة التي أعدها، وبعد أن أنهى قراءته للمراجع المحددة أو أغلبها، وسجل ما يهمه من المعلومات المتعلقة ببحثه، وقام بعملية الفرز والتصنيف بحسب الآراء والموضوعات، يباشر الباحث عمله الجديد بمرحلة جديدة، وهي مرحلة الصياغة والتدوين التي يبرز فيها شخصيته وذاته، وفيها يقوم باختيار المعلومات من المادة المجموعة وترتيب ما اختار ثم صياغته، وليس بالضرورة إدخال ما تم جمعه، بل عليه طرح ما لا علاقة له ببحثه. حتى يعطي للمادة المنتقاة قيمة، ويعرضها عرضا جديدا.

ولكي يؤثر الباحث في القارئ ببحثه العلمي، يجب أن يكون أسلوبه واضحا، يعالج القضايا ببساطة وينقلها بلغة سليمة وعبارة متينة، وليتحقق ذلك على الطالب أن يكون دقيقا في اختيار مفرداته بعيدا عن أسلوب التهكم والسخرية، كما يجب أن يتحاشى المبالغات والتضخيم.[14] وبالنسبة لقائمة ثبت المصادر والمراجع نراعي فيها الترتيب الألف بائي والطالب مطالب بإسقاط(أل) التعريف؛ ويسجل اسم المؤلف، ثم عنوان الكتاب، اسم المحقق،

ثم رقم الطبعة، ثم بيانات النشر، ثم أجزاء الكتاب، بعدها الصفحات المستخدمة من الكتاب...الخ من المعلومات الضرورية. ولها طرائق متنوعة لترتيبها ونختار الأنسب منها.[15] وإذا تنوعت المصادر والمراجع وتعددت أصنافها يُستحسن أن يرتبها بحسب أهمية كل صنف، كأن يبدأ بالمصادر المخطوطة، ويتلوها بالمصادر المطبوعة، والمراجع العربية، والمراجع الأجنبية، والرسائل الجامعية والدوريات والمجلات، ثم المواقع الالكترونية.

وخلاصة القول: على الباحث الاستفادة من المصادر والمراجع على مختلف مستوياتها، وعلى العموم فالتزود بالمادة العلمية الأصلية والثانوية يعتبر أمرا أساسيا ينبغي أن يوليه الباحث بالغ اهتمامه، ويبقى عليه بعد أن ينتهي من كتابة بحثه، أن يحرص على إخراجه في حلّته الكاملة ليصبح جاهزا للمناقشة.

قائمة المراجع:

(1)- محمد عبيدات وآخرون، منهجية البحث العلمي، ط1، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1999، ص 4.

(2)- ماثيو حيدير، منهجية البحث العلمي، دليل الباحث المبتدئ في موضوعات البحث ورسائل الماجستير والدكتوراه، تر: ملكة أبيض، (د ط)، (د ت)، ص 47.

(3)- عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان، كتابة البحث العلمي ومصادر الدراسات الإسلامية، ط3، دار الشروق، جدة 1986م، ص 31.

(4)- على الموقع .http://www.blog.saeed.com بتاريخ:2017/02/03، على الساعة 12:33.

(5)- أحمد شبلي، كيف تكتب بحثا أو رسالة، دراسة منهجية لكتابة الأبحاث، ط6، مكتبة النهضة المصرية، 1968م، ص 54.

(6)-http:www.blog.saeed.com المرجع السابق على الساعة 13:00

(7)- صالح لحلوحي، محاضرات في منهجية البحث العلمي في اللغة والأدب العربي، ط1، دار قرطبة لنشر والتزيع، باب الزوار، الجزائر، 2016م، ص 49.

(8)- المرجع نفسه، ص 50.

(9)- ماثيو جدير، منهجية البحث العلمي، المرجع السابق، ص 48.

(10)- أمال أبو قاسم، منهجية جمع المادة العلمية وتوثيقها في البحث العلميّ، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، المكتبة الوطنية الجزائرية، 29 ديسمبر 2015م، ص 68.

(11)- على الموقع: http :www.blog.saeed.com المرجع السابق: على الساعة 15:07.

(12)- أمال أبو قاسم، المرجع السابق، ص 69.

(13)- عبد القادر الشيخلي، قواعد البحث العلمي، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2005م، ص 44.

(14)- ينظر: محمد بن لخضر فورار،(محاضرات في المنهجية لطلبة السنة الأولى ماجيستير)، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012/2011م، ص 18-19.

(15)- ينظر: محمد خان، منهجية البحث العلمي" وفق نظام lmd"، ط1، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2011م، ص 52.